تفسير الخازن والإسرائيليات

د. عيادة بن أيوب الكبيسي *

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، وإمام العلماء العاملين ، وعلى آله وأصحابه ، وأنصاره وأحبابه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بفضله وكرمه آمين .

وبعد :

فليس الغرض من هذا البحث الكتابة عن شخصية الإمام الخازن وبيان مكانته العلمية ، ولا عن منهجه في تفسيره - وإن كنت سأشير إلى شيئ من ذلك باختصار - ، وإنما الباعث على ذلك ، هو إماطة اللثام عن أحد الجوانب المهمة التي سلكها هذا الإمام في تفسيره (لباب التأويل) ، وتعريف الكثيرين بموقفه منه ، إذ أن هذا الجانب كان ولايزال - السبب الأكبر ، وربما الأوحد - في إعراض كثير من الناس عن قراءة هذا التفسير أو الاعتناء به ، بل والإساءة إليه بالتشهير والتحذير ، وقد كنت أحد أولئك المعرضين ، وذلك:

أن كلمة ألقيت في أذني منذ الصغر : أن تفسير الخازن مليئ بالإسرائيليات ، مشحون بالأساطير والخرافات ، وخال من متين العلم وتمحيص الروايات ، فعزفت نفسي عنه ، ولم أطق النظر فيه ، فضلا عن القراءة والتأمّل .

وشاء الله أن أسجل رسالتي في الماجستير تحت إشراف شيخ صالح ذي فراسة - كما عهدته - ، وهو فضيلة الأستاذ الكبير الدكتور مصطفى أمين التازي - رحمه الله تعالى -(١). فإذا به يقول لي ذات يوم - من غير سابق

١- هو شيخنا الأستاذ الدكتور مصطفى أمين إبراهيم التازي ، عمل أستاذا في الحديث وعلومه في جامعة الأزهر ثم في السودان ثم ليبيا وأخيرا عين رئيسا لفرع الكتاب والسنة ، في جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، آخر أعماله العلمية أنه افتتح مناقشة رسالة طالبه الدكتور منصور العبدلي - مرويات ابن مسعود في الكتب الستة وموطأ مالك =>

* أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية أصول الدين .

معرفة :-

اذهب واقرأ في تفسير الخازن مدة أسبوع !!

فقلت في نفسي : سبحان الله ! في تفسير الخازن ، ولِمَ ؟ !... فقرأت على مضض ثم لم أمض طويلا حتى بدأت نظرتي تتغير ، إذ بان لي عن الرجل وعن تفسيره خلاف ما سمعت - كما سيتضح من خلال هذا البحث - إن شاء الله تعالى .

ثم إني أول ما دخلت على شيخي قال لي :

كيف وجدت الخازن ؟ فقلت على الفور : إنه مظلوم ، فقال : هذا ما أردت أن تصل إليه .(١)

ثم إني - ومن ذلك الوقت - بدأت أرجع إلى تفسير الإمام الخازن - رحمه الله تعالى - وأقرأ فيه بتأن ورويّة ، متأملاً متفحصا ، فتحصل لي ما أحببت أن أطلع عليه المهتمين بالدراسات التفسيرية بوجه خاص ، والقراء الكرام بوجه عام .

فقرات البحث :

وقسمته - بعد المقدمة - إلى الفقرات التالية :

١- تعريف مختصر بالمؤلف

٢- تعريف مماثل بالتفسير .

٣- توضيح المراد بالإسرائيليات .

=> ومسند أحمد للحصول على درجة الدكتوراة ، وبعد افتتاح المناقشة مباشرة نقل إلى المستشفى لإصابته بجلطة قلبية فمكث هناك أسبوعا ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى في يوم الجمعة سنة ١٤٠١هـ ، ودفن في مقبرة المعلاة بالحجون - رحمه الله ورضي عنه - ، من مصنفاته : محاضرات في علوم الحديث ، ومقاصد الحديث في القديم والحديث ، وغيرهما .

١- الغرض من سياق هذا الخبر أمران . أحدهما : سبب كتابة هذا البحث ، وثانيهما : إثبات أنّ أحد علماء السنة البارزين يرى أنّ الإمام الخازن مظلوم .

٤- موقف المفسر منها ، ويتمثل في :
أ - المزايا
ب - المآخذ
٥- الخاتمة

١- تعريف مختصر بالمؤلف (١).

هو الإمام علاء الدين ، أبو الحسن ، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيحي (٢)، البغدادي ، الصوفي ، المعروف بالخازن ، كان فقيها شافعيا ، مؤرخا ، عالما بالتفسير والحديث ، ولد ببغداد سنة ٦٧٨ هـ ، ثم بعد أن تعلم وسمع من بعض علمائها ، هاجر إلى دمشق ، وسمع بها - أيضا .

قال ابن قاضي شهبة : كان من أهل العلم ، جمع وألف ، وحدث ببعض مصنفاته .

مصنفاته :

ألف الإمام الخازن - رحمه الله تعالى - في فنون مختلفة ، في السيرة والفقه والحديث والتفسير ، وأشهر مصنفاته التي ذكرها العلماء في تراجمه ، هي:
* الروض والحدائق في سيرة خير الخلائق - صلى الله عليه وسلم(٣) وهو كتاب

١- انظر ترجمته في : الدرر الكامنة ٩٧/٣ ، هدية العارفين ٧١٨/١ ، كشف الظنون ١٥٤٠/٢ ، شذرات الذهب ١٣١/٦ ، طبقات المفسرين للداودي ٤٢٢/٢ ، معجم المفسرين ٣٧٩/١ ، الأعلام ١٥٦/٥ ، ط ٢ ، معجم المؤلفين ١٧٧/٧-١٧٨، نيل السائرين ص١٧٧ ، معجم المطبوعات ٨٠٩ ، فهرست الكتبخانه ٤٢٨/١ ، برنامج المكتبة العبدلية ١٣٥ ، تاريخ علماء بغداد ١٥١ ،١٥٢ .

٢- الشيحي نسبة إلى الشيحة - بالحاء المهملة - ، وهي قرية من قرى حلب ، وقد نسب إليها بعض الأعيان ، انظر معجم البلدان ٣٧٩/٣ ، ط. دار صادر .

٣- كذا سماه في هدية العارفين ٧١٨/١ ، وفي معجم المؤلفين : الروض والحدائق في تهذيب سيرة خير الخلائق محمد المصطفى سيّد أهل الصدق والوفا ١٧٧/٧ ، مطبعة الترقي بدمشق ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م .

حافل في السيرة النبوية المباركة .

* شرح العمدة لأبي بكر الشاشي في الفروع الشافعية ، وسماه في الأعلام : عدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام .

* لباب التأويل في معاني التنزيل ، وهو التفسير المشهور بتفسير الخازن ، فرغ من تأليفه يوم الأربعاء من رمضان سنة ٧٢٥هـ(١) .

* مقبول المنقول من علمي الجدل والأصول ، وهو كتاب كبير في الحديث ، يقع في عشر مجلدات جمع فيه بين مسندي الشافعي وأحمد ، والكتب الستة والموطأ وسنن الدارقطني ورتبه على الأبواب .

وكان رحمه الله تعالى - كما وصفه مترجموه :-

صوفيا ، حسن السمت ، بشوش الوجه ، كثير التودد للناس وسمي بالخازن لأنه كان خازن كتب خانقاه السميساطية (٢) بدمشق .

وفاته : تجمع المصادر التي ترجمت له على أنه توفي بمدينة حلب سنة ٧٤١هـ - رحمه الله تعالى ورضي عنه .

٢- تعريف مختصر بالتفسير :

وتفسيره - كما تقدم - : هو لباب التأويل في معاني التنزيل ، وقد اشتهر باسم تفسير الخازن ، ومن المهم والمفيد ، أن نذكر نبذة مختصرة عن بعض الجوانب المشرقة في هذا التفسير ، قبل الدخول في صلب الموضوع ، فأقول - وبالله التوفيق :-

---

١- انظر كشف الظنون ٢/ ١٥٤٠ .

٢- الخانقاه :- بفتح النون:- بقعة يسكنها أهل الصلاح والخير والصوفية ، وقد حدثت في الإسلام في حدود الأربعمائة. انظر تاج العروس٦/ ٣٤٠، مادة: خنق، وقاموس الفارسية ص ٢١٣ تأليف: الدكتور عبدالنعيم محمد حسنين - دار الكتاب اللبناني - بيروت . والسميساطية - بمهملات مصغرة :- نسبة للسميساطي أبي القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي ت ٤٥٣هـ ، واقف الخانقاه ، كان من أكابر الرؤساء بدمشق ، وسميساط قلعة على الفرات بين قلعة الروم وملطية . انظر الدارس في تاريخ المدارس ٢/ ١٥١ .

من خلال ما ذكره المؤلف في مقدمته(١)، وفي ضوء ما وقفت عليه أثناء قراءتي لتفسيره ، أستطيع أن أجمل أبرز الجوانب التفسيرية والمزايا العلمية ، التي ترسم الصورة الواضحة لهذا التفسير ، في النقاط التالية :

١- اهتمامه بما يتعلق بالعقيدة ، وانتصاره لمذاهب أهل السنة .

يظهر ذلك جليا في :

أ - تنزيهه لمقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ونفيه لكل ما يخدش عصمتهم . من ذلك : توهم صدور الذنب منهم(٢) ، وعقد الفصول في إثبات عصمتهم(٣) ، وتوجيه ما يوهم منافاة العصمة مما حصل في قصصهم كما في قصة لوط ونوح ويوسف عليهم السلام(٤) .

ب - رده على الفرق المبتدعة من المعتزلة والخوارج والمرجئة والرافضة وغيرهم ، ودحضه لمفترياتهم ، وتفنيد شبههم(٥) .

ج - تحريره لمذهبي السلف والخلف في آيات الصفات مع تأييده لمذهب السلف في ذلك ، ودعوته إلى وجوب اتباعه ، فيقول :

وللعلماء في آيات الصفات وأحاديث الصفات مذهبان :

أحدهما : وهو مذهب سلف هذه الأمة وأعلام أهل السنة :

الإيمان والتسليم لما جاء في آيات الصفات وأحاديث الصفات وأنه يجب علينا الإيمان بظاهرها ونؤمن به كما جاءت ونكل علمها إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الإيمان والاعتقاد بأن الله تعالى منزه عن سمات الحدوث وعن الحركة والسكون .

ونقل عن الزهري والأوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن

١- وقد بيّن فيها منهجه ، والطريقة التي سلكها في تفسيره ، انظر ١/٣-٤ ، طبع الكتبي ١٣١٧هـ .

٢- انظر مثلا ٣/١٠٢ - ١٠٣ و ٢٣٦ .

٣- انظر مثلا ١/٦٨ ، ٢/٣٢٩ ، ٣/٥١ - ٥٢ ، ٣/٢٢١ .

٤- انظر ٣/٢٣٦ ، ٢٤٥ ، ٣٧٣ - ٢٧٧ .

٥- انظر مثلا ٢/١٦٦ ، ٢٨٢ ، و ٤/٢٨ - ٢٩ .

سعد وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه أنهم كانوا يقولون فيها : أقرؤها كما جاءت بلا كيف، ولا تشبيه ولاتأويل . ثم قال : هذا مذهب أهل السنة ومعتقد سلف الأمة .

وأنشد بعضهم في المعنى :

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته ... ولا ذاته شيئ عقيدة صائب

نسلم آيات الصفات بأسرها ... وأخبارها للظاهر المتقارب

ونؤيسُ عنها كنه فهم عقولنا ... وتأويلنا فعل اللبيب المغالب

ونركب للتسليم سفنا فإنها ... لتسليم دين المرء خير المراكب

ثم يذكر مذهب الخلف في التأويل - بعد ذلك(١) ، ويقول في موضع آخر : فيجب على المسلم أن يمره على ما جاء (٢)

عقد فصولاً متنوعة في : بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسل ، عليهم الصلاة والسلام(٣) ، في إثبات عذاب القبر(٤) ، في خلود الجنة والنار(٥) ... في أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة والرد على مَنْ زعم خلاف ذلك(٦) ، في الدفاع عن الصحابة - رضي الله عنهم - وبيان فضائلهم(٧) وغير ذلك من الفصول الكثيرة .

٢- اهتمامه بالتفسير بالرواية وإكثاره منه ، حتى ما تكاد تخلو صفحة من صفحات كتابه من حديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أو أثر عن الصحابة أو التابعين - رضي الله عنهم - .

١- انظر ١/١٤٧ - ١٤٨ .

٢- انظر ٣/٢٢ .

٣- انظر ٢/٢٦٩ .

٤- انظر ٤/٤٢ - ٤٤ .

٥- انظر ٣/٢٥٤ .

٦- انظر ٣/٢٢٨ .

٧- انظر ٣/١٠٠ ، ١٣٩ - ١٤٠ ، ٦/٢١٥ - ٢١٧ .

٣- عنايته بالحديث النبوي الشريف ، والتزامه ببيان حكمه وشرح غريبه وحلّ مشكلاته - إن وجدت - ، ودفع ما يوهم التعارض من ذلك (١) .

وقد كان من منهجه استعمال الرموز في عزو الحديث- غالبا، وإنك لترى رمز: ق ، خ ، م(٢) ظاهرة كثيرة ، منورة لصفحات كتابه - رحمه الله تعالى -.

٤- عنايته بآيات الأحكام ، وذكر خلاصة الحكم فيما يورده من المسائل ، دون التوسع -غالبًا- في التفريعات الفقهية والخلافات المذهبية - وقد يعقد الفصول لذلك(٣)

٥- اعتماده على أمهات كتب التفسير ، ونقله لآراء جهابذة العلماء من المفسرين والمحدثين والفقهاء وأهل اللغة وغيرهم ،

كمجاهد والثوري وابن عيينة والزهري ، وابن المبارك ، والخطابي والطبري والزمخشري وابن الجوزي والرازي ، وابن عطية ، والقرطبي ، والواحدي ، والأئمة الأربعة - أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد -، والأوزاعي والزجاج والفراء والأزهري وأبي عبيدة والجرجاني وغيرهم .

٦- اعتماده أسلوب الترجيح أو التصحيح أو الجمع لكثير من الخلافات والوجوه التي يوردها(٤) ، وإن كان ذلك ليس مطردا في تفسيره .

٧- له تحقيقات علمية نافعة ، مثل :

أ - دفع توهم عزل أبي بكر بإرسال علي ببراءة - رضي الله عنهما(٥).

١- انظر ٣/٩٨ و ١٦٢ .

٢- يعني بالحرف "ق" : المتفق عليه ، وب " خ " : ما رواه البخاري وب " م " ، ماوراه مسلم .

٣- انظر مثلا ١/١٠٠ ، ١٥٧ ، ١٧٢ ، ٢/٢٠ - ٢١ و ٤٨ - ٥٠ و ٣/٣٢ و ٣٦ ، ٨٠ ، وقد اعتبر الدكتور الذهبي هذه الفروع الفقهية إقحاما في التفسير ، وهي قد لاتهم المفسر بوصف كونه مفسرا في قليل ولا كثير . انظر التفسير والمفسرون ١/٣١٠ ، وأيضا فالخازن ليس بدعا في هذا المنهج، وهذا قد يصحّ في بعض المواضع -كما ذكرنا- ولكنه ليس مطرداً .

٤- انظر مثلا ٢/١٧٧ ، ٢/١١٠ و ١١١ ، ٢١١ ، و ٢/٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣/٢٥٩ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٨٩ ، ٤/٩٢ ، ٥/١٤١ .

٥- انظر ٣/٥٩ .

ب - توضيح المراد بقوله تعالى : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » - التوبة /٤٣ - والردّ على من استدل بها على جواز صدور الذنوب عن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام(١) .

ج- تحقيق في عمر النبي - صلى الله عليه وسلم - عند قوله تعالى : « فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون » -يونس/١٦(٢) .

د - استنباط أفضلية نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام من قوله تعالى : « فبهداهم اقتده » الأنعام /٩٠ (٣) .

هـ - بيان المراد من قوله تعالى : « فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك » سورة يونس /٩٤ ، ودفع توهم حصول الشك من النبي صلى الله عليه وسلم(٤).

و - تحقيق في أن صلة الرحم تزيد في العمر وبيان الصحيح من أقوال العلماء في ذلك (٥) .

ز - بيان التفسير الصحيح لقوله تعالى : « يا أيها النبي لم تحرم ما أحلّ الله لك » التحريم/١ والتحقيق فيمن تظاهر على النبي صلى الله عليه وسلم(٦).

وذلك كثير في تفسيره -رحمه الله تعالى (٧).

٨- تتبعه لأخطاء بعض المفسرين وبيان وجه الحق في ذلك .

كما في مناقشته للرازي والزمخشري في قصة غرق فرعون ، واستبعادهما أن يدسّ جبريل عليه السلام الطين في في فرعون مخافة أن تدركه الرحمة ، فيقول : والجواب عن هذا الاعتراض : أنّ الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم

١- انظر ١٠٢/٣ - ١٠٣ .

٢- انظر ١٨٠/٣ .

٣- ١٥٧/٢ .

٤- انظر ٢١٠/٣ .

٥- انظر ٢٧/٤ .

٦- انظر ١١٤/٧ - ١١٦ .

٧- انظر - أيضا : ١٣٤/٤ ، ٧٨/٥ و ٢٧٤ ، ٣٤/٢ ، ٤١ و ٧٣ ، ٦٤/٦ و ١٥٨ ، ١٧٧/٢ ، ٢١٠/٣ ، ٦٠ ، ٢٦٠ وغير ذلك كثير .

فلا اعتراض عليه لأحد(١) ، ثمّ يفيض في الردّ ودفع الإشكال في فصلين عقدهما لذلك(٢) .

وقال عن طول عوج بن عنق الذي نقله عن الإمام البغوي : وفيه نظر ، لأنّ آدم عليه السلام كان طوله على ما ورد في الأحاديث الصحيحة: ستين ذراعا(٣).

ونقل عن البغوي - أيضا - : أنّ بابل إنما سميت بذلك لأنّ ألسنة الناس تبلبلت من الفزع حين سقط الصرح الذي بناه نمرود بن كنعان الجبار ليصعد إلى السماء ، وأن لسان الناس كان قبل ذلك السريانية ثم قال :

قلت : هكذا ذكره البغوي ، وفي هذا نظر ، لأن صالحا عليه السلام كان قبلهم ، وكان يتكلم العربية ، وكان أهل اليمن عربا منهم : جرهم الذين نشأ إسماعيل بينهم - وتعلم منهم العربية ، وكانت قبائل من العرب قديمة قبل إبراهيم عليه السلام مثل : طسم وجديس ، وكل هؤلاء عرب تكلموا في قديم الزمان بالعربية ، ويدلّ على صحة هذا: قوله تعالى « ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى(٤) - والله أعلم (٥) .

٩- اهتمامه البالغ بما يهذب الأخلاق ويقوّى العزائم ، ويزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة ، ويذكر بالله تعالى واليوم الآخر ، ولا غرو فهو الواعظ الفذ ،

١- أخرجه الإمام أحمد برقم ٢١٤٤ و ٢٢٠٣ وصححه الأستاذ أحمد شاكر ١٦/٤ و ٤٠ ، والترمذي وقال : هذا حديث حسن ٢٨٧/٥ ، والطبراني في الكبير برقم ١٢٩٣٢ ، ٢١٦/١٢ وقد توسعت في تخريجه لدى تحقيق تفسير سورة يونس لابن أبي حاتم الرازي رقم ٢٣٣٣ و٢٣٣٤ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ ، ونصّ الحديث : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله عليه وسلم :- قال لي جبريل : لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسّه في في فرعون مخافة أن تدركه الرحمة .

وحال البحر : هو الطين الأسود كالحمأة انظر النهاية ٤٦٤/١ .

٢- انظر ٢٠٦/٣ - ٢٠٩ ، وانظر الفائدة التي ذكرناها في هذا الموضوع لدى تحقيقنا لتفسير سورة يونس لابن أبي حاتم الرازي ص ٢٨٨ .

٣- انظر ٢٥/٢ .

٤- سورة الاحزاب ، آية : ٣٣ .

٥- انظر ٨٦/٤ .

والمذكر الفطن ، ولذا فهو كثيرا ما يستشهد بأبيات الزهد والرقائق ، وينقل عن الحسن البصري و أمثاله .... وهذا يتمشّى مع جانب الهداية الذي أنزل من أجله القرآن .

١٠- له عناية بذكر الفصول المتنوعة ، فيما يرى أن له تعلقا بالآية ، وكأنه يرى أنّ هذه الفصول ليست من باب التفسير ، إنما هي من باب تمام الفائدة ... والحق أقول : إنها فصول علمية نافعة ، يمكن أن تستلّ من التفسير وتحقق تحقيقا علميا ثم تنشر كأبحاث مستقلة ، وهي كثيرة جدا ، ومتفاوتة بين البسط والاختصار والتوسط (١) .

١١- ردّه لكثير من الإسرائيليات - كما سنرى بعد قليل - ، وفي هذا يقول الشيخ الزرقاني - رحمه الله تعالى - : ومن مزاياه ، أنه يتبع القصة ببيان ما فيها من باطل ، حتى لاينخدع بها غرّ ولا يفتن جاهل(٢) ، أقول : ولو سلك - رحمه الله تعالى - هذا الخط في جميع تفسيره ، لكان من أحسن التفاسير وأنفعها .

١٢- يعني بذكر بعض علوم القرآن ، كأسباب النزول (٣)، - لاسيما في مفتتح تفسير السور - وبيان الناسخ والمنسوخ - وقد يعقد لذلك فصولا(٤) - والقراءات(٥) وغير ذلك (٦) .

وقد عقد بعض الفصول في مقدمته مثل : جمع القرآن ، وترتيب نزوله ، وكونه نزل على سبعة أحرف ، وبيان معني التفسير والتأويل ، وغير ذلك (٧) .

١- انظر مثلا : ١٢٠/١ و ١٩٩ و ٣٤٣ ، ٥٠/٢ و ١٥٧ ، ١٠٠/٣ ، ١٣٢/٥ ، ٢٧٢/٧ - ٢٧٥ .

٢- انظر مناهل العرفان ٦٩/٢ ط الثالثة .

٣- انظر ١٦/٢ ، ٥٣/٣ و ٦٩ ، ١٧٥/٦ و ٢٢٥ .

٤- انظر مثلا - ٥/٢ و٥٥ و١٤٥ ، ١٧٣/٦ .

٥- انظر ٣٢٦/٢ ، ٩٢/٣ ، ١١٨/٥ .

٦- انظر ٥٦/٣ .

٧- انظر مقدمة التفسير .

١٣- وضوح الأسلوب ، وحسن الصياغة ، مع مراعاة الإيجاز وحسن الترتيب بعيدا عن لغة التعقيد والغموض .

١٤- اختياره تفسير معالم التنزيل للإمام البغوي ت ٥١٦هـ ، وانتخابه من غرر فوائده ودرر فرائده ، لما له من مكانة عالية بين التفاسير ، وما يظنه البعض من أنه اقتصر على تلخيصه واكتفى بنقل عبارته غير صحيح ، بل لقد زاد عليه فوائد وفرائد في جوانب من العلم متعددة ، وله عليه بعض الملاحظات ، كما أنه حافل بالنقول الأخرى والتحقيقات ، وغير ذلك مما يتضح لمن يقلب صفحات التفسير ، ومما تجدر ملاحظته - هنا - أن تفسير البغوي تفسير بالرواية ، وتفسير الخازن تفسير بالدراية .

١٥- وقد جاء التفسير شاملاً لكل آيات الكتاب الكريم ، متوسط الحجم، حيث يقع في أربع مجلدات من القطع الكبير ، وقد طبع عدة طبعات .

١٦- وبالجملة : فهذا التفسير معدود ضمن التفاسير بالدراية ، وأنه قد توافرت فيه الشروط التي لابدّ منها لأباحة التفسير بالرأي(١) ، كما قد اشتمل على جملة واسعة من الأحاديث والآثار .

هذا : وقد يقال : إنّ بعض ما ذكرته في هذه الجوانب هو من لوازم التفسير ، فلاميزة للخازن فيها ، ونقول : إنّ الغرض من هذا العرض المختصر الدفاع عن الخازن وتفسيره في أنه لايقل شأنًا عن جل التفاسير النافعة ، وإنه حريّ بالدراسة والانتفاع به ، بدل التحذير منه والتنفير عنه - والله أعلم - .

وأما الإسرائيليات : فسنجعل الكلام حولها في أربع نقاط :

الأولى : في معناها وبيان المراد منها ،

١- انظر مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ص ٢٩٩٢ - ٢٩٣ ، ولمعرفة هذه الشروط انظر البرهان للزركشي ١٥٦/٢ - ١٦١ .

الثانية : أنّ الخازن لم يكن بدعا في ذكرها .

الثالثة : في مزايا تفسيره فيها .

الرابعة : في المآخذ .

أما عن الأولى ، فنقول :

الإسرائيليات : جمع مفرده : إسرائيلية ، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي ، والنسبة إلى بني إسرائيل ، والنسبة في مثل هذا تكون لعجز المركب الإضافي لا لصدره - وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام(١) .

وهو مصطلح لم يتحدث عنه المتقدمون ، وإنما تحدث عنه عدد من الباحثين المحدثين (٢) .

ولفظ الإسرائيليات ، وإن كان يدلّ بظاهره على اللون اليهودي للتفسير ، وما كان للثقافة اليهودية من أثر ظاهر فيه ، إلا أنّ المدققين من علماء الإسلام أطلقوه على ما هو أشمل من ذلك ، فهو عندهم يعمّ اللون اليهودي واللون النصراني ، وكل ما نقل عن أهل الملل والأديان الأخرى ، وما دسّه أعداء الإسلام - ممن تظاهروا بالدخول فيه - على اختلاف أجناسهم وأهدافهم (٣)

وإنما صحّ إطلاق لفظ الإسرائيليات على كل ذلك ، من باب التغليب للون اليهودي على غيره ، لأنّ غالب ما يروى من هذه الخرافات والأباطيل يرجع في أصله إلى مصدر يهودي(٤) ، ولأنّ الضرر فيه أكبر ، والأثر السيئ منه

١- انظر الإسرائيليات في التفسير والحديث للدكتور الذهبي ص ١٣ ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور أبي شهبة ص ٢١ .

٢- انظر الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير للدكتور رمزي نعناعة ص ٧٢ - ٧٣ .

٣- انظر في هذا : التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي ١٦٥/١ ، الآلوسي ، مفسرا للدكتور محسن عبدالحميد ، ص ٣١٩ .

٤- انظر الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ١٥ .

أظهر(١) .

غير أنّ هذا الإطلاق - فيما أرى - إنما هو من حيث إدراج تلك المدخلات تحت عنوان الإسرائيليات ، وأما من حيث التفاصيل ، فإنّ كلّ جزئية تنسب إلى مصدرها ، فيقال : هذه مأخوذة عن مصدر نصراني ، وهذه من وضع الزنادقة وهكذا .

وذلك التصريح نجده في مثل قصة زينب رضي الله عنها ، حيث قالوا : إنها من وضع يوحنا الدمشقي في العهد الأموي ،

وفي قصة الغرانيق ، فقد ذكر جمع من العلماء من المفسرين والمحدثين ، أنها من وضع الزنادقة .

ومن وقف على أسانيد ابن جرير في تفسيره - التي يعزو إليها الذين كتبوا في الإسرائيليات - استطاع أن يحدد مصادر تلك الروايات .

ومن هذا القبيل ما وضعه الكذابون ذووالأهواء المختلفة ، والنوايا الخبيثة.

أما الثانية :

فإن الإمام الخازن - رحمه الله تعالى - لم يكن في إيراد الإسرائيليات في تفسيره بدعا من المفسرين في ذلك - السابقين منهم واللاحقين - ، إذ قد سبقه إلى ذلك أئمة أخيار من أمثال : ابن جرير الطبري ت ٣١٠هـ ، وأبي الليث السمرقندي ت ٣٧٣هـ ، وقيل٣٧٥هـ وأبي إسحاق الثعلبي ت٤٢٧ وقيل ٤٢٨هـ ، والواحدي ت ٤٦٨ هـ ، وأبي محمد البغوي ت٥١٠هـ أو ٥١٦هـ ، وجار الله الزمخشري ت ٥٣٨هـ ، وابن عطية الأندلسي ت٥٤٦هـ ، وأبي عبدالله القرطبي ت ٦٧١هـ ، بل وحتى ابن أبي حاتم الرازي ت٣٢٧هـ - على قلة في ذلك - وغيرهم ، وتبعه في

١- قال أستاذنا الدكتور أبو شهبة -رحمه الله تعالى-: والحق : أنّ ما في كتب التفسير من المسيحيات أو من النصرانيات هو شيء قليل بالنسبة إلى ما فيها من الإسرائيليات ، ولا يكاد يذكر بجانبها ، وليس لها من الآثار السيئة ما للإسرائيليات ، إذ معظمها في الأخلاق والمواعظ وتهذيب النفوس وترقيق القلوب ، انظر الإسرائيليات ص ٢٣ - ٢٤ .

ذلك كبار العلماء من أمثال : أبي عبدالرحمن السيوطي ت ٩١١هـ ، والخطيب الشربيني ت٩٧٧هـ ، والسيد رشيد رضا ت١٣٥٤هـ ، بل وحتى ابن كثير ت٧٧٤هـ ، وأبي السعود العمادي ت٩٥١هـ ، وأبي الثناء الآلوسي ت ١٢٧٠هـ - على قلة في ذلك - وغيرهم .

وفي هذا يقول الدكتور الذهبي : لا أكون مبالغًا ولامتجاوزاً حدّ الصدق إن قلت : إنّ كتب التفسير كلها قد انزلق مؤلفوها إلى ذكر بعض الإسرائيليات ، وإن كان ذلك يتفاوت قلة وكثرة ، وتعقيبًا عليها وسكوتًا عنها (١).

ولاتنازع في أنّ الخازن فد أكثر من رواية الإسرائيليات في تفسيره - كما سيأتي في النقطة الرابعة - ، غير أننا نجده - وكما سيأتي أيضًا - قد ردّ إسرائيليات باطلة متعددة لها مساس بالعقيدة قد سكت عنها جمع من المفسرين .

وإذا لاحظنا أنّ الإسرائيليات متفاوتة في مدى خطورتها على عقائد المسلمين وقدسية الإسلام ، وأنه لايمكن المساواة بين إسرائيلية ذكرت شرحًا لبعض المجملات ، أو بيانًا لبعض جزئيات الحوادث والأخبار أو ما شابه ذلك مما لا تعلق له بالعقائد والأحكام ، وبين إسرائيلية تَمَسُّ معاقد الإيمان ، قد وضعت عن خبث ومكر لهدم أصول العقائد والتشريع ، اتضح لنا أنّ الإمام الخازن - رحمه الله تعالى - أسلم بهذا الاعتبار من بعض التفاسير التي ذكرت بعض تلك الطامات ولم تردّها .

فلم يبق بعد هذا للطعن في تفسيره والتحذير منه ، والسكوت بل والحثّ على دراسة غيره من التفاسير المماثلة في هذا الباب أو التي قد تزيد عليه معنى ، وإن قيل : إنّ في تلك التفاسير من متين العلم ودقائق التفسير ما يدعو إلى الاهتمام بها ودراستها وتدريسها قلنا : وإنّ في تفسير الخازن من ذلك الشيئ الكثير (٢) .

١- انظر الإسرائيليات في التفسير الحديث ص ٩٦ .

٢- انظر ما ألمحنا إليه قبل عند التعريف بتفسيره ص ٤٠ .

وأما الثالثة :

فإن للخازن في ذلك شأنا جليلاً ، ومسلكا مفيدا ، وسأركز منه على ما يتعلق بالعقائد مما له مساس بمقام النبوة ، أو خدش لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فقد أبلى فيه الخازن بلاء حسنا ، وكان له في ذلك باع طويل فهو - رحمه الله تعالى - يتعقب الروايات الواردة في ذلك ويبطلها ويفندها ، ويبين وجه الحق والتفسير الصحيح للآيات التي نسجت تلك الروايات حولها ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، وسأكتفي ببعض النماذج ، فمن ذلك :-

القصص المفترى على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لاسيما داود وسليمان اللذين لقيا من اليهود أذى كثيرا ، وبهتانا عظيما ، ولا غرابة فاليهود قوم بهت كما وصفهم الحبر المقدم فيهم الذي أنقذه الله بالإسلام ، الصحابي الجليل عبد الله ابن سلام رضي الله عنه (١) .

وقد ساق الخازن في تفسيره كثيرا من الروايات الطاعنة في نبي الله داود عليه السلام - والقادحة في عصمته ، كقصة الشيطان الذي تمثل له في صورة حمامة من ذهب ، فيها من كلّ لون حسن ، وجناحاها من الدر والزبرجد ، فطارت ثم وقعت بين رجليه ، وألهته عن صلاته ، وقصة امرأة أوريا التي وقع بصره عليها ، فأعجبه جمالها ، فآحتال على زوجها حتى قتل رجاء أن تسلم له هذه المرأة التي فتن بها وشغف بحبها ، وغير ذلك من الروايات العجيبة الغريبة التي

١- هو الصحابي الجليل عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف الإسرائيلي ثم الأنصاري ، كان من ذرية يوسف عليه السلام ، وقصة إسلامه في الصحيح ، وهو ممن بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة ، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام ، قال : وفيه نزلت هذه الآية : « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » الآية توفي بالمدينة المنورة سنة ثلاث وأربعين رضي الله عنه وأرضاه ، انظر الإصابة ٢/ ٣٢٠ - ٣٢١ ، والبخاري رقم ٣٩١١ في كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ٧/٢٤٩ ، ٢٥٠ ، وباب : مناقب عبدالله بن سلام رضي الله عنه - ٧/١٢٨ .

أوردها في تفسير قوله تعالى: «وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب» الآيات إلى قوله تعالى : « وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب » (١) .

وبعد أن أورد الخازن تلك الروايات التي يمكن أن تكون من باب :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه

ومن لايعرف الشر من الناس يقع فيه

عقب ذلك بفصل : في تنزيه داود عليه الصلاة والسلام عما لايليق به وما ينسب إليه ، فقال - رحمه الله تعالى - :-

اعلم أن من خصه الله تعالى بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه ، وأئتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه ، لايليق أن ينسب إليه مالو نسب إلى آحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأمناء ؟ !

ونقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حدّ الفرية على الأنبياء.

وعن القاضي عياض : لايجوز أن يلتفت إلى ما سطره الأخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ، ونقله بعض المفسرين ، ولم ينصّ الله تعالى على شيء من ذلك ، ولا ورد في حديث صحيح ، والذي نصّ عليه الله في قصة داود: « وظن داود أنما فتناه » ، وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت ، ولايظن بنبيّ محبة قتل مسلم ، وهذا هو الذي ينبغي أن يعول عليه من أمر داود .

وينقل -أيضًا- عن الإمام الرازي والمحققين من المفسرين ما يؤيد هذا ويؤكد تنزيه نبيّ الله داود عليه السلام - .

ولم يكتف الإمام الخازن - رحمه الله تعالى - بإبطال ذلك القصص وتلك الروايات فحسب ، بل يعمد إلى ذكر التفسير الصحيح للآية ، ويذكر في ذلك عدة أوجه ، ويختمها بقوله :

وقيل : إن ذنب داود الذي استغفر منه ليس هو بسبب أوريا والمرأة ، وإنما هو بسبب الخصمين ، وكونه قضى لأحدهما قبل سماع كلام الآخر ، وقيل : هو

١- سورة ص الآيات : ٢١ - ٢٣ .

قوله لأحد الخصمين : « لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه » ، فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى ، فلما كان الحكم مخالفا للصواب ، اشتغل داود بالاستغفار والتوبة .

قال الخازن : فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه الصلاة والسلام مما نسب إليه - والله أعلم(١) .

وهذا الوجه ، وإن بدت عليه مخايل الجودة ، وأنه موافق لسياق الآية : «ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله »(٢) حيث ذكرت استفتاء الخصمين واحتكامهما إلى داود عليه السلام وسرعة جوابه ، فقد ردّه بعض المحققين (٣) .

وبهذا تبطل قصة داود وأوريا وامرأته من أساسها و يحكم عليها بأنها فرية بدون مرية ، وهكذا نرى أنّ الإمام الخازن - رحمه الله تعالى - يتصدى لهذه القصة بالتزييف والإبطال ، بينما نجد بعض المفسرين يودعونها تفاسيرهم من غير نكير مع ما فيها من بشاعة ونكارة (٤)

وقد ساق - أيضا الروايات الواردة بشأن سليمان عليه السلام ، ومنها قصة صخر المارد وتشبهه به وتسلطه على ملكه ونسائه ، ثمّ يكر على ذلك بالتفنيد ، وينقل عن القاضي عياض وغيره من المحققين أن ذلك كله غير صحيح ، وأن الشيطان لاسبيل له للتشبّه بأنبياء الله أو التسلط على ملكهم لأن الله تعالى

١- انظر لباب التأويل ٤٩/٦ - ٥٠ .

٢- سورة ص ، آية : ٢٦ .

٣- منهم : ابن عطية كما في المحرر الوجيز ٤٤٦/١٢ ، وابن العربي كما في الجامع لأحكام القرآن ١٦٣٧/٤ ط دارالمعرفة .

٤- انظر مثلا جامع البيان لابن جرير الطبري ٩٣/٢٣ - ٩٦ ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٣٠٠/٥ ، وكذا ذكره الشوكاني في فتح القدير ٤٢٨/٤ ، وقال ابن القيم : وهذا داؤد عليه السلام كان عنده تسعة وتسعون امرأة فأحب تلك المرأة وتزوجها فكمل المائة ، انظر الجواب الكافي فصل: محبة النسوان ص ٣٢٦ ، وكذا ذكر أكذوبة قصة زينب - رضي الله عنها - ص ٣١٠ - ٣١١ .

قد عصمهم منه .

ثم يشرع في بيان التفسير الصحيح لقوله تعالى : « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب » (١) الذي نسجت حوله قصة صخر المارد فيقول :

والذي ذهب إليه المحققون : أن سبب فتنته ماجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :- قال سليمان بن داود - عليهما السلام -: لأطوفن الليلة على مائة امرأة - أو تسع وتسعين - كلهنّ يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبه : قل: إن شاء الله ، فلم يقل إن شاء الله ، فلم تحمل منهنّ إلاّ امرأة واحدة جاءت بشق رجل ، والذي نفس محمد بيده لو قال : إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون . وفي رواية : لأطوفنّ بمائة امرأة فقال له الملك : قل إن شاء الله فلم يقل ونسي(٢) .

قال العلماء : والشق هو الجسد الذي ألقى على كرسيه وهي عقوبته ومحنته لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني ، وقيل : نسي أن يستثني - كما صح في الحديث - لينفذ أمر الله ومراده فيه (٣) .

وبينما نرى أن الإمام الخازن يسير في هذا الطريق المضيء ، وينكر ذلك القصص الباطل ، نرى غيره من أجلاء المفسرين ، يذكر ذلك ولايبطله ، بل ربما أقره بعضهم . يقول الإمام ابن عطية : اختلف الناس في الجسد الذي ألقي على كرسيّه ، فقال الجمهور: الجني المذكور - أي صخر المارد - سماه جسدا لأنه قد تمثل في جسد سليمان عليه السلام ولبس به ، وهذا أصح الأقوال وأبينها

١- سورة ص ، آية : ٣٤ .

٢- متفق عليه ، أخرجه البخاري - واللفظ له - برقم ٢٨١٩ في كتاب الجهاد - باب : من طلب الولد للجهاد ٣٤/٦ ، ومسلم برقم ١٦٥٤ في كتاب الإيمان - باب : الاستثناء ١٢٧٥/٣ - ١٢٧٦ ، وقد أخرج في مواضع أخرى وبألفاظ مختلفة لاسيما في عدد نساء سليمان عليه السلام ، وأورده الخازن باختلاف يسير في بعض الألفاظ .

٣- انظر : لباب التأويل ٥٩/٦ .

معنى(١) .

ويقول الإمام البغوي بعد ذكر القصة : وأشهر الأقاويل أن الجسد الذي ألقي على كرسيّه هو صخر الجنيّ (٢) .

وهكذا يسلك الإمام الخازن - رحمه الله تعالى - هذا المنهج المنير في الدفاع عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإثبات عصمتهم بما لو تتبعناه لطال بنا الحديث ، ولكننا سنكتفي بالإشارة السريعة إلى بعض ذلك :

عقد فصلا في الردّ على الطاعنين في عصمة الأنبياء عند قوله تعالى : « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم » (٣) ، ودحض الشبه في ذلك ثم نقل عن القاضي عياض قوله :

واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي - صلى الله عليه وسلم - من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه(٤). وكذا عقد فصلا عند قوله تعالى : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض» الآية (٥) . وذكر في ذلك وجوها عدة وأجاب عنها(٦).

وعقد فصلا -أيضا- عند قوله تعالى : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » (٧، ٨) .

وذكر كلاما نفيسًا في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم عند قوله تعالى : «فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك » (٩، ١٠) .

١- انظر : المحرر الوجيز ١٢/ ٤٦٠ .
٢- انظر معالم التنزيل ٦/ ٦٠ .
٣- سورة الأعراف ، آية : ٢٠٠ .
٤- انظر لباب التأويل ٢/ ٣٢٩ .
٥- سورة الأنفال ، آية : ٦٧ .
٦- انظر لباب التأويل ٣/ ٥١ - ٥٢ .
٧- سورة التوبة ، آية : ٤٣ .
٨- انظر لباب التأويل ٣/ ١٠٢ - ١٠٣ .
٩- سورة هود - عليه السلام آية : ١٢ .
١٠- انظر لباب التأويل ٣/ ٢٢١ .

وعقد فصلا في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - عند قوله تعالى في : قصة نوح عليه السلام :- « إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح » (١ ,٢) .

وبين في قوله تعالى في قصة لوط عليه السلام : « هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم » (٣) . أنه أراد ببناته نساء قومه ، وأضافهن إلى نفسه لأن كل نبيّ أبو أمته وهو كالوالد لهم ثم قال : وهذا القول هو الصحيح ، وأشبه بالصواب - إن شاء الله تعالى - ، ثم دلل على ذلك ، وبيّن ضعف الأقوال الأخرى . (٤)

ونقل الأقوال في قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز ، وما نسب في ذلك إلى السلف من الأباطيل ، ثم أثبت تنزيه يوسف وبيان عصمته ، وأن ما جاء بخلاف ذلك هو كذب بحت ، ونسبته إلى الصحابة أو التابعين غير صحيحة(٥) ، وهو بهذا يخالف ما ذهب إليه البغوي (٦) تبعا لشيخه الثعلبي في أن ما روي في همّ يوسف عليه السلام هو مذهب السلف (٧) !!

١- سورة هود ، آية : ٤٦ .

٢- انظر لباب التأويل ٣/٢٣٦ .

٣- سورة هود ، آية : ٧٨ .

٤- انظر لباب التأويل ٣/٢٤٥ .

٥- المرجع السابق ٣/٢٧٤ .

٦- من ذلك ما نقله عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : حلّ الهميان وجلس منها مجلس الخائن ، وعن مجاهد قال : حلّ سراويله وجعل يعالج ثيابه ، ثم قال البغوي : وزعم بعض المتأخرين أنّ هذا لايليق بحال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ونقل تأويله وردّه ثم قال : وهذا التأويل وأمثاله غير مرضية لمخالفتها أقاويل القدماء من العلماء الذين أخذ عنهم الدين والعلم انظر ٣/٢٧٣ - ٢٧٤ .

٧- انظر في تفسير هَمّ يوسف عليه السلام ما ذكره الأستاذ مصطفى صادق الرافعي -رحمه الله تعالى- في كتابه: وحي القلم ١/١١٧-١١٨، حيث قال : الحق الصحيح في تفسير هم يوسف : أنه لم يقع من يوسف هم بالفاحشة ، وأن الكلام من قبيل التقديم والتأخير ، أي لولا أن رآى برهان ربه لكان همّ بها ... الخ ، وقد ذكر هذا الإمام الخازن - رحمه الله تعالى - ، وانظر الكشاف ٢/١٠٥ ، وتفسير المنار ١٢/٢٧٨ فما بعدها ، ط. دار الفكر للطباعة والنشر .

وقد عقد فصلا في قصة زينب رضي الله عنها وزواج النبي صلى الله عليه وسلم منها وبيّن أن ما ذهب إليه بعض المفسرين (١) من وقوع محبتها في قلبه صلى الله عليه وسلم حين رآها ، إقدام عظيم من قائله ، وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله ، قال : وكيف يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته ، ولم يزل يراها منذ ولدت ، ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم ، وهو زوّجها لزيد ، فلا يشك في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يأمر زيدا بإمساكها وهو يحب تطليقه إياها ، كما ذكر عن جماعة من المفسرين ، وهو كعادته لم يكتف برد الباطل ، بل يشرع بعده ببيان وجه الحق ، وقد فصل القول الصحيح في هذا الفصل ، فنقل عن زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما : أن الله عز وجل أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أنها ستكون من أزواجه وأن زيدا سيطلقها ، فلما جاء زيد قال : إني أريد أن أطلقها قال له : أمسك عليك زوجك - فعاتبه الله تعالى . ثم قال : وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق للتلاوة ، وبعد بيان وجه الدليل من ذلك قال :

فدلّ على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجته ، وإنما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيدا أن التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي ثم قال الخازن - رحمه الله تعالى - وهذا قول حسن مرضي ، وكم من شيء يتحفظ منه الإنسان ويستحي من إطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق ، لا مقال فيه ولا عيب عند الله ، وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما إلى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين ، وهو إنما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم إياها لإزالة التبني وإبطال سنته كما قال الله

١- منهم ابن جرير الطبري ، قال الدكتور الذهبي : ويبدو أنه ارتضاها تفسيراً للآية حيث لم يعقب عليها ، وحيث يقول بعد فراغه منها : وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . انظر جامع البيان ٩٧/٢٢ ط. الأولى ، والإسرائيليات ص ١٠٥ ، والعجيب أنّ الشوكاني نقل عن القرطبي ما ذكره ابن جرير ولم ينقل عنه ردّها ، ونقل في المأثور عن ابن جرير في قوله تعالى : « وكان أمر الله قدراً مقدورا » : كذلك سنته في داؤد والمرأة والنبي وزينب !! انظر فتح القدير ٢٨٤/٤ و ٢٨٦ .

تعالى: «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم»(١) وقال: «لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم » (٢، ٣) .

ملاحظة :

ولكن وبعد ما تقدم نقول : إنّ الإمام الخازن - رحمه الله تعالى - لم يلتزم بمنهجه هذا في جميع تفسيره ، فقد كان أحيانا يذكر من القصص ما يَمَسُّ جانب العقيدة ولا يتفق مع الأصول الشرعية المقررة كما يقول الدكتور الذهبي ولايعقب عليه بما يفيد بطلانه ، ومثل لذلك بما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : « وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضرّ وأنت أرحم الراحمين » (٤)

حيث قال: فقد روى عن وهب بن منبّه(٥) قصة فيها نكارة ومنافاة للأصول الشرعية(٦).

وقد قرأت القصة في تفسير الخازن وتأمّلتها ، فتعجبت من إيراده لها وسكوته عنها حيث لم يفندها ولم يبيّن بطلانها كعادته -رحمه الله تعالى - ، وإني وإن كنت لست مع الخازن فيما ذهب إليه من إقرار ما نسب إلى أيوب عليه السلام ، إلا أني أقول :

قد نلتمس للإمام الخازن في ذلك عذرا ، إذ لعله رأى أنّ ما في هذه

١- سورة الأحزاب ، آية ٤٠ .

٢- سورة الأحزاب ، آية : ٣٧ .

٣- انظر لباب التأويل ٢٦٢/٣ -٢٦٣ .

٤- سورة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - آية : ٨٣ .

٥- هو وهب بن منبّه بن كامل اليماني ، كان من خيار التابعين ، ومن العلماء العاملين ، وقد وثقه الجمهور وشذّ الفلاس فقال : كان ضعيفا ، وقد أخرج له البخاري حديثا واحدا في كتابة الحديث ، وقد كان ذا ثقافة واسعة بالديانة اليهودية وغيرها من كتب الأولين ، ولذا فقد كثر النقل عنه ولكن غالب ما نسب إليه أسانيده واهية . توفي سنة بضع عشرة ومائة - رحمه الله تعالى - . انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١٦٦/١١ - ١٦٨ ، تقريب التهذيب ٣٣٩/٢ ، وانظر الإسرائيليات لشيخنا الدكتور أبي شهبة - رحمه الله تعالى - ص ١٤٨ - ١٤٩ .

٦- انظر الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ١٣٤ .

القصة لايتعارض مع العصمة ولايقدح في مقام النبوة ، ولا يمسّ جانب العقيدة ، بل ربما رأى أنّ في ذلك رفعة لمقام أيوب عليه السلام لما تصوره القصة من صبر عظيم ، استحق أن يقول الله تعالى فيه: «إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب»(١، ٢) .

وهو وإن كان يرى أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منزهون عن الأمراض المنفرة ، إلا أنه قد يرى أن ما حل بأيوب - كان عرضا ، فهو كالعمى الذي حلّ بيعقوب بسبب فراق ولده يوسف عليهم السلام .

ومما ينبغي أن يعلم : أنه لابد أن يكون البلاء الذي حلّ بأيوب عليه السلام عظيما وفوق العادة، وقد يكون مقاربا لبعض ما في مفردات القصة من حيث جمع البلاء الجسدي والمعنوي من مثل تبكيت أصحابه له ولومهم وقولهم له : تب إلى الله من الذنب الذي عوقبت به، فقد ورد أنّ اتهامهم له كان أشد عليه مما هو فيه .

ولذا فإن الخازن يورد سؤالا ويجيب عنه فيقول : فإن قلت : كيف سماه الله صابرا وقد أظهر الشكوى والجزع بقوله : مسني الضر ، ومسّني الشيطان بنصب وعذاب ؟ قلت : ليس هذا شكاية وإنما هو دعاء ثم يدلل على ذلك (٣) .

ومهما يكن ،فإن قصة أيوب ليست كقصة داود عليهما السلام مع زوجة أوريا ، ولا كقصة زينب مع نبينًا صلى الله عليه وسلم ، التي رواها وسكت عليها من هو أقدم من الخازن وأشهر . وأيضًا فليس الخازن وحده هو الذي ذكر قصة أيوب بل ذكرها أو طرفا منها دون نكير جمع من المفسرين منهم : ابن جرير الطبري(٤) وابن عطية(٥) وابن الجوزي(٦) والسيوطي(٧) ونقلها

١- انظر تفسير الخازن ٤/٣٠٧ - ٣١٧ .
٢- سورة ص آية : ٤٤ .
٣- انظر لباب التأويل ٤/٣١٥ .
٤- انظر جامع البيان، فقد ساق ابن جرير القصة بتماها عن وهب بن منبه ٤٢/١٧ فما بعدها .
٥- انظر المحرر الوجيز ، وقد ذكر ابن عطية أجزاء متعددة منها كما في ١٨٨/١٠ - ١٩٠ و ٤٦٤/١٢ -٤٦٥ و ٤٦٨ - ٤٦٩ .
٦- انظر زاد المسير ، وقد ذكر ابن الجوزي القصة بتفاصيلها ٥/٣٧٥ - ٣٧٩ .
٧- انظر الدر المنثور ٤/٣٢٧ فما بعدها - نشر إيران - .

الشيخ سليمان بن عمر الشهير بالجمل عن الخازن مختصراً .(١)

ومن الإسرائيليات التي فندها الخازن وأنكر على من أقرها: قصة هاروت وماروت ، تلك القصة العجيبة الغريبة ، وقد عقد فصلا في عصمة الملائكة ، ونقل عمن ذهب إلى عصمة جميعهم بأنه لم يصح من هذه القصة شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما أخذت من اليهود ، ثم ساق وجوه إبطالها وقال : فبان بهذه الوجوه ركة هذه القصة ، والله أعلم بصحة ذلك وسقمه ، والأولى تنزيه الملائكة عن كل ما لايليق بمنصبهم(٢) .

بينما نجد أن جمعا من المفسرين قد أودعوها تفاسيرهم من غير نكير ، منهم : الإمام عبدالرزاق الصنعاني وابن جرير الطبري وابن أبي حاتم الرازي وأبو إسحاق الثعلبي وأبو الليث السمرقندي وأبومنصور الماتريدي ، والإمام القشيري والإمام البغوي وغيرهم ، بل إن الإمام الشوكاني استبعد انكار وقوعها ، كما بسطنا ذلك في بحثنا : قصة هاروت وماروت في ميزان المنقول والمعقول(٣) .

ومما فنده الخازن من الإسرائيليات : قصة الغرانيق ، تلك الأكذوبة الشنيعة التي تخدش عصمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتمس قدسية القرآن الكريم .

فنرى أن الإمام الخازن – رحمه الله تعالى – بعد أن ينقلها يكرّ عليها بالرد والإبطال ، ويبيّن أن الدلائل قد قامت على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأن الأمة أجمعت فيما كان طريقهُ البلاغ أنه معصوم فيه من الاخبار عن شيء

١- انظر الفتوحات الإلهية على الجلالين ١٤١/٣ .

٢- انظر لباب التأويل ٦٨/١ و٦٩ .

٣- قد تم – بحمد الله تعالى – نشر هذا البحث في مجلة الدراسات الإسلامية إسلام آباد ، في العدد الثالث – المجلد السابع والعشرين سنة ١٤١٣هـ /١٩٩٢م . ومن خلاصته : انّ القصة تالفة لم ترد من طريق صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن صحابته الكرام رضي الله عنهم ، وانما صحّ الخبر من طريق ابن عمر رضي الله عنهما عن كعب الأحبار – رحمه الله تعالى – الذي ينقل عن كتب بني إسرائيل و صحة الرواية إلى كعب لا تعني صحتها في واقع الأمر ، كما أنّ كعبًا لايلحقه شين في روايتها – كما فُصّل في ثنايا البحث – .

منه بخلاف ما هو به لاقصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا ، قال الله تعالى : « وما ينطق عن الهوى » (١) .

وقال الله تعالى : « لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » (٢) . ثم يشرع في دحض هذه الفرية بعدة وجوه ، ويذكر بعد ذلك التفسير الصحيح لقوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم»(٣) . الآية التي نسجت حولها قصة الغرانيق ، فيقول - رحمه الله تعالى -: الجواب الراجح في تحقيق تفسير الآية وقد تقدم أنّ التمنى يكون بمعنى حديث النفس ، وبمعنى التلاوة ، فعلى الأول : يكون معنى قوله « إلا إذا تمنى » أي خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الأمور ، ولا يبعد أنه اذا قوي التمني اشتغل الخاطرفحصل السهو في الأفعال الظاهرة ، وعلى الثاني - وهو تفسير التمنى بالتلاوة -: فيكون معنى قوله: « إلا إذا تمنى » أي تلا ، وهو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو في إسقاط آية أو آيات أو كلمة أو نحو ذلك ، ولكنه لا يقرّ على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين كما صحّ في الحديث : « لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا » (٤) .

وحاصل هذا : أن الغرض من هذه الآية أن الأنبياء والرسل وإن عصمهم الله عن الخطأ في العلم ، فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم ، بل حالهم في ذلك كحال سائر البشر - والله أعلم - (٥).

وبذلك يعطي القاريء صورة واضحة صحيحة ، لا لبس فيها ولاغموض ،

١- سورة النجم ، آية : ٣ .

٢- سورة فصلت ، آية : ٤٢ .

٣- سورة الحج ، آية : ٥٢ .

٤- متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها ، أخرجه البخاري برقم ٥٠٣٧ و ٥٠٣٨ في كتاب فضائل القرآن - باب : نسيان القرآن ٨٤/٩ -٨٥ ، ومسلم برقم ٧٨٨ في كتاب : صلاة المسافرين وقصرها - باب : فضائل القرآن ٥٤٣/١ .

٥- انظر لباب التأويل ٢٢/٥ - ٢٤ .

فجزاه الله تعالى عن كتابه وعن نبيّه صلى الله عليه وسلم والمسلمين خير الجزاء .

ومن المعلوم أنّ بعض المحققين في القديم والحديث قد أقروا بأصل هذه القصة ، وقد اختلف تأويل المتأولين لذلك .

والحق أن القصة باطلة سندا ومتنا ، وقد بسطنا القول في ذلك في بحثنا : المدخلات في التفسير النقلي ، وذكرنا فيه تفسيراً آخر للآية غير ما ذكره الخازن -رحمه الله تعالى- (١)

الرابعة : المآخذ على الخازن في رواية الإسرائيليات :

بدءاً أقول : ليس بوسعي - ولا بوسع غيري - أن ينكر إكثار الإمام الخازن - عفا الله تعالى عنه - من رواية الإسرائيليات في تفسيره ، وإيراده لقصص كثير لاحاصل منه ولا طائل تحته ، كمثل تفاصيل قصة أصحاب الكهف ، وذكر أسمائهم ، ودقة وصف كلبهم ، وذكر الاختلاف في اسمه (٢) ، وذكر اسم النملة التي كلمت سليمان عليه السلام والاختلاف فيه ، وأنها كانت عرجاء ، وكانت ذات جناحين - وإن كان قد صدّر ذلك بقيل-(٣). وكتوسعه في بيان صفة الدابة التي ذكرها الله تعالى بقوله سبحانه : « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون » (٤) . حيث نقل عن البغوي الذي نقل عن شيخه الثعلبي ما جاء في ذلك من الآثار العجيبة(٥). ومثل هذا ما ذكره في صفة اللوح المحفوظ الذي ذكره الله تعالى بقوله : « بل هو قرآن مجيد ، في لوح محفوظ » (٦) ، حيث قال : وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إنّ في صدر اللوح : لا إله إلا الله وحده ، دينه الإسلام و محمد عبده ورسوله ، فمن آمن بالله عزوجل ، وصدق بوعده ، واتبع رسله ، أدخله الجنة ، وقال : واللوح لوح من درة بيضاء وطوله ما بين السماء

١- انظر ص ٣٩-٤١ .

٢- المرجع السابق انظر ١٩٧/٤ و ٢٠٥ .

٣- نفسه انظر : ١٣٨/٥ .

٤- سورة النمل ، آية : ٨١ ،

٥- انظر لباب التأويل ١٥٦/٥ - ١٥٧ .

٦- سورة البروج ، الآيتان : ٢١ ، و ٢٢ .

والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافتاه الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء ، وقلمه من نور ، وكلامه سر معقود بالعرش ، وأصله في حجر ملك ، والله تعالى أعلم بمراده (١) .

وأغرب من هذا وأعجب ، ما ذكره عن يأجوج ومأجوج ، فقد نقل عن البغوي الذي نقل عن كعب قوله: هم نادرة في ولد آدم ، وذلك أن آدم احتلم ذات يوم ، وامتزجت تطفته بالتراب ، فخلق الله من الماء يأجوج ومأجوج ، فهم متصلون بنا من الأب دون الأم(٢) .

والأدهى من ذلك كله ، أن يتابع البغوي في سوق الموضوع في هذه القصة فيقول :

وروى حذيفة مرفوعا: أنّ يأجوج ومأجوج أمة ، وكل أمة أربعة آلاف أمة، لايموت الرجل منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه قد حمل السلاح ، وهم من ولد آدم ، يسيرون إلى خراب الدنيا ، وقال : هم ثلاثة أصناف ، صنف منهم أمثال الأرز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء ، وصنف منهم عرضه وطوله سواء ، عشرون ومائة ذراع ، وهؤلاء لايقوم لهم جبل ولا حديد ، وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه ، ويلتحف بالأخرى ، لايمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ، ومن مات منهم أكلوه ، مقدمتهم بالشام و ساقتهم بخراسان ، يشربون أنهار المشرق ، وبحيرة طبرية(٣) .

١- انظر لباب التأويل ٢٣٢/٧ ، وقد نقل الحافظ ابن كثير هذا الأثر في تفسيره عن الإمام البغوي وسكت عليه ٥٣٠/٥ - ٥٣١ .

أقول : وهذا لأثر لايصحّ عن ابن عباس رضي الله عنهما ، لأن في سنده إسحاق بن بشر ، أبا حذيفة البخاري ، قال الذهبي : تركوه ، وقال ابن الجوزي : اجمعوا على أنه كذاب ، انظر ميزان الاعتدال ١٨٤/١ - ١٨٦ ، لسان الميزان ٣٥٥/١ .

٢- انظر لباب التأويل ٢٣٢/٤ ، وذكر ابن حجر نحو هذا وقال : لم نر هذا عن أحد من السلف إلا كعب الأحبار ويردّه الحديث المرفوع أنهم من ذرية نوح ونوح من ذية حواء قطعا ، انظر فتح الباري ١٠٧/١٣ .

٣- انظر لباب التأويل ٢٣١/٤ .

وهذا أثر موضوع ، وممن حكم عليه بالوضع الإمام ابن الجوزي(١) .

وهكذا يتوسع الخازن في رواية الإسرائيليات ويكثر النقل منها ، دون أن يتعقب ذلك بشيء من النكير ، وإن كان من الواجب ومن باب الإنصاف أن نقول : إنّ الخازن قد يضمن ذلك القصص ما صحّ من الروايات ويبّينه(٢) .

غير أنّ هذه التفاصيل -كما رأيت - لا دلالة في القرآن الكريم على شيء منها ، كما أنه لم يصحّ فيها شيء عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم فما كان ينبغي أن تذكر في تفسير الكتاب العزيز .

ولعلّ اشتغال الخازن بالوعظ ، هو الذي حدا به إلى جمع تلك القصص من كتب التفسير الكثيرة ، التي امتلأت بها خانقاه السميساطية ، التي كان الخازن يشرف عليها ويحرسها .

أقول : ومع هذا ، فنرى - وباستثناء الموضوعات - أن من الإنصاف للرجل ولتفسيره أن ندعو القاريء الكريم للتأمل معنا في النقاط التالية :

١- أن الخازن - كما تقدم - ليس بدعا في هذا ، بل إنّ هناك من أجلاء المفسرين من أورد ما هو أشنع وأفظع ، فموقفه - بوجه عام - خير من موقف بعض المفسرين الذين ذكروا وسكتوا عما يمسّ العقيدة ، ويخل بمقام النبوة .

٢- أنّ كثيراً من ذلك القصص ، هو من النوع المسكوت عنه ، فهو مما

١- قال ابن الجوزي : قال ابن عدي : منكر موضوع ، ومحمد بن إسحاق العكاشي : كذاب يضع ، وقال السيوطي : قلت : أخرجه ابن حاتم وابن مردويه - والله أعلم - ، انظر اللآلئ المصنوعة ١/١٧٣ - ١٧٤ .

٢- انظر في ذلك ٤/٢٣٤ و ٢٣٥ ، حيث ذكر الحديث المتفق عليه : « فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين » وفي رواية : وحلّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها . أخرجه البخاري برقم ٧١٣٥ و ٧١٣٦ في كتاب الفتن - باب يأجوج ومأجوج ١٣/١٠٦ ، ومسلم برقم ٢٨٨٠ ، و ٢٨٨١ في كتاب الفتن - باب اقتراب الفتن ٤/٢٢٠٨ وحديث : « ليحجنّ البيت وليعتمرنّ بعد خروج يأجوج ومأجوج » ، أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه برقم ١٥٩٣ ، في كتاب الحج ، باب قول الله تعالى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » الآية ٣/٤٥٤ .

لايصدق ولا يكذب ، وإذا كان بعض العلماء يرى أنه لاتجوز روايته(١) فالجمهور على جواز ذلك (٢)

٣- رأينا أن من منهج الخازن - رحمه الله تعالى - ذكر مصدر القصة التي يوردها، وذلك كعزوه إلى محمد بن إسحاق - صاحب السيرة والمغازي - . أو إلى الثعلبي أو البغوي ، أو كعب الأحبار أو وهب بن منبّه ، أو ابن عباس - رضي الله عنهما - ، أو السدي ، أو الكلبي ، وقد يقول : قال أهل العلم بالأخبار والسيرة ، أو قال العلماء بالسير وأخبار الماضين ، أو قال المفسرون أو نحو ذلك (٣) .

وكأنه أراد بهذا أن يبرىء عهدته ، جريا على قاعدة : من أسند لك فقد حملك - أو أحالك - ، ولئن قيل : إنّ هذا العزو لاقيمة له بعد حذف الإسناد ، قلنا : لعله إنما حذف الأسانيد اعتمادا على وجودها في مصادرها ، فإنّ تلك الإسرائيليات نجدها مسندة في المراجع التي تعني بذكر السند ، كجامع البيان لابن جرير الطبري ، والكشف والبيان لأبي إسحاق الثعلبي - كما في مقدمته - ، وقد نجد جملة منها - أيضا - في التفسير المسند لابن أبي حاتم الرازي ، وفي تفسير الإمام عبدالرزاق الصنعاني ، وغيرها من كتب التفسير بالمأثور ، ولذا فانّ باستطاعتنا أن نحكم على غالب تلك الإسرائيليات ، - إن لم نقل جميعها - من خلال دراسة أسانيد متونها المذكورة في تلك المراجع ، وقد صرح الخازن بسبب

١- وممن ذهب إلى هذا الأستاذ أحمد شاكر حيث قال : إن أباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقة ولا كذبه شيء وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولا أو في معنى الآيات أو في تعيين مالم يعيّن فيها ، أو في تفصيل ما أجمل منها شيء آخر . لأن في إثبات مثل ذلك بجواز كلام الله ما يوهم أن هذا الذي لانعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنى قول الله سبحانه ، ومفصل لما أجمل فيه ، وحاشا لله ولكتابه من ذلك . انظر عمدة التفسير ١٥/١ ، وأيده الدكتور الذهبي في ذلك كما في كتابه الاسرائيليات ص ١٦٨ .

٢- انظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ١٠٠ .

٣- انظر لباب التأويل - مثلا - ٥٤/١ ، ٣٤/٢ ، ٨٢/٣ ، ١٢١/٥ و ١٨٣ ، ٢٧،٥/٦ ، و ١٦٥ ، ٣١/٧ و ٣٨ و ٩٧ و ١٢٩ .

حذف تلك الأسانيد ، حيث قال في مقدمته : وحذفت الإسناد لأنه أقرب إلى تحصيل المراد(١) .

وأرى أنّ نتيجة التأمل في هذه النقاط الثلاث ، تبيّن لنا أن الإمام الخازن - رحمه الله تعالى - كان مظلوما بتلك الحملة المنفرة(٢) ، التي أساءت إلى تفسيره ، وحالت دون رجوع الكثيرين إليه ، والانتفاع بما فيه من العلوم والفهوم(٣) .

وفي ختام هذا البحث الموجز أقول :

إنّ تفسير الإمام الخازن ، المسمّى : لباب التأويل في معاني التنزيل ، من التفاسير النافعة المفيدة ، فقد اشتمل على علم جم ، وفوائد متنوعة ، وتحقيقات قيمة ، ورد لكثير من الإسرائيليات الباطلة ، ومع هذا فهو -كغيره من كثير من التفاسير- ليس بخال منها .

ولذا فهو من الكتب التي تلح الحاجة إلى تحقيقها ، والتعليق عليها ، وقد كان في نيتي أن أستعين بالله تعالى وأنهض بأعباء ذلك ، ولكن وقفت - وقد سررت - على أن بعض طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض قد حقق الجزء الأول منه إلى آخر سورة البقرة ، ونال به درجة الدكتوراه(٤) .

وبذلك أصبح من المؤكد إكمال بقية الأجزاء ، ثم طبعها ونشرها بين جماهير المسلمين ، لتتحقق لهم بذلك فائدتان هما من الأهميّة بمكان :

١- انظر لباب التأويل ٣/١ .

٢- ممن يرى ذلك من مشايخي وسمعته من لسانه : الأستاذ المحقق سيد صقر والأستاذ الدكتور مصطفى أمين التازي - رحمهما الله تعالى - .

٣- ومما يؤسف له أن يقرن تفسير الخازن بتفسير مقاتل بن سليمان الكذاب في التنبيه عليه والتحذير منه ، كما في كتاب الإسرائيليات ص ١٧٠ ، للدكتور الذهبي ، وأن يعدّ الخازن ضمن الذين شحنوا كتبهم بالإسرائيليات من غير تمحيص ولا نقد ، كما في كتاب الدخيل في التفسير ١٦٣/١ ، للدكتور عبدالوهاب فايد .

٤- هو الدكتور قاسم بن أحمد بن عبد الله القثردي ، وذلك في سنة ١٤٠٩هـ . انظر دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية ص ٧٩ ، رقم ٩٨٤ .

الأولى : في الاستفادة مما في هذا السفر القيّم من العلوم والمعارف ، ودقائق التفسير بنوعيه المنقول والمعقول .

والثانية : في الوقوف على أباطيل الإسرائيليات وخرافاتها ، سواء مما بينه المؤلف بنفسه ، أو مما سيبينه المحققون .

وبذلك نكون قد أسدينا خدمة جليّ : لكتاب الله تعالى ، وللمفسر - رحمه الله تعالى - ، ولخاصة الدارسين وعامتهم .

ومما تجدر الإشارة إليه - وقد ألمحنا إلى هذا فيما سبق - أن وضوح أسلوب الخازن وسلاسة ألفاظه ، واهتمامه بالحكم على الأحاديث وشرح غريبها ، وعنايته بتلخيص الأحكام الفقهية ، والسير والقصص ، سيسهم في نفاد سوقه ورواج بضاعته ، ويضاعف من عدد المقتنين له ، والمقبلين على دراسته .

فرحم الله الإمام الخازن وغفر له ، وجزاه عن كتابه وعن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام ، والصحابة - رضي الله عنهم - والإسلام والمسلمين ، خير ما جازى به عباده الصادقين ، والعلماء العاملين ، وحشرنا معهم - بفضله آمين .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأنصاره و أحبابه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس أهم المراجع

- القرآن الكريم .
- الألوسي مفسرا للدكتور محسن عبدالحميد - رسالة مخطوطة بجامعة القاهرة .
- الاسرائيليات في التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبي - دار التوفيق النموذجية - القاهرة - الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- الاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير للدكتور رمزي نعناعة - دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م .
- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لشيخنا الأستاذ الدكتور محمد أبي شهبة - مجمع البحوث الإسلامية القاهرة .
- التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي - دار إحياء التراث العربي - بيروت لبنان.
- تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا ت ١٣٥٤هـ - دار الفكر للطباعة والنشر .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ دار المعرفة - بيروت - لبنان .
الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية ت ٧٥١هـ -الطبعة الثالثة سنة ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م- مطبعة أبي عبدالرحمن بمصر .
- الدارس في تاريخ المدارس تأليف عبدالقادر بن محمد النعيمي الدمشقي ت ٩٢٧هـ - تحقيق جعفر الحسني - دار الكتاب الجديد - الطبعة الأولى - ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للامام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ت ٩١١هـ - دار المعرفة - بيروت - لبنان .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للامام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ - مطبعة دار المعارف العثمانية الهند سنة ١٣٤٨هـ - الطبعة الأولى .
- زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن بن علي المشهور بابن الجوزي ت ٥٩٧ هـ - المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - الطبعة الأول سنة ١٣٨٥هـ /

١٩٦٥م .

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب للإمام أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ت١٠٨٩هـ - نشر مكتبة القدسي - القاهرة سنة ١٣٥٠هـ .
- صحيح البخاري ، للامام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري ت ٢٥٦ هـ - مع شرحه فتح الباري للإمام ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ - نشر ادارات البحوث العلمية والافتاء - باشراف الشيخ عبدالعزيز بن باز .
- صحيح مسلم تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي - دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الأولى سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .
- طبقات المفسرين للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الداودي ت ٩٤٥هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير اختصار وتحقيق الأستاذ الشيخ أحمد شاكر - طبع دار المعارف سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠هـ - دار الفكر - بيروت - لبنان .
- الفتوحات الإلهية على الجلالين للشيخ الأجل سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل ت ١٢٠٤هـ - مطبعة الاستقامة - القاهرة .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨ هـ -المطبعة الأميرية الطبعة الثانية سنة ١٣١٨هـ -
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعالم الفاضل الأستاذ مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة ت ١٠٦٧هـ ، طبع استنبول سنة ١٣٦٠هـ/١٩٤١ .
- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للإمام جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ - المكتبة الحسينية المصرية بالأزهر - القاهرة .
- لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن ت ٧٢٥هـ - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - الطبعة الثانية سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م ، وأما الجزء الأول فرجعت إلى طبعة حسن حلبي الكتبي سنة ١٣١٧هـ .

- مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ت ١٤٠٧هـ - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - الطبعة الرابعة .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي ت ٥٤٦هـ - طبع بمؤسسة دار العلوم - الدوحة - قطر - الطبعة الأولى .
- معالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين الفراء البغوي ت ٥١٦هـ - مطبوع بهامش تفسير الخازن .
- معجم البلدان لأبي عبدالله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت ٦٢٦هـ - دار صادر - بيروت - لبنان .
- معجم المؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربية - تأليف عمر رضا كحالة - مطبعة الترقي بدمشق - سنة ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .
- معجم المفسرين تأليف عادل نويهض - مؤسسة نويهض الثقافية - الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- مقدمة في أصول التفسير للإمام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ت ٧٢٨هـ - تحقيق الدكتور عدنان زر زور - دار القلم - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
- مناهل العرفان في علوم القرآن للأستاذ الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - الطبعة الثالثة .
- نيل السائرين في طبقات المفسرين للشيخ العلامة مولانا محمد طاهر الفنجفيري - طبع في المطبعة العربية - دار القرآن - باكستان .
- وحي القلم للأستاذ مصطفى صادق الرافعي ت ١٣٥٦هـ - مطبعة دار الاتحاد العربي للطباعة - نشر المكتبة التجارية .
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين تأليف إسماعيل باشا البغدادي ت ١٣٣٩هـ إستنبول .